مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE FOUNDATION
الشريك المعرفي العالمي
GLOBAL KNOWLEDGE PARTNER
UNDP
ملخصات لكتب عالمية
كتاب في دقائق
2020
أغسطس
العدد
211

ليس هناك مقياس لكلّ الناس

رؤية طالب لمدارس الأمس والغد

نيكل جويل

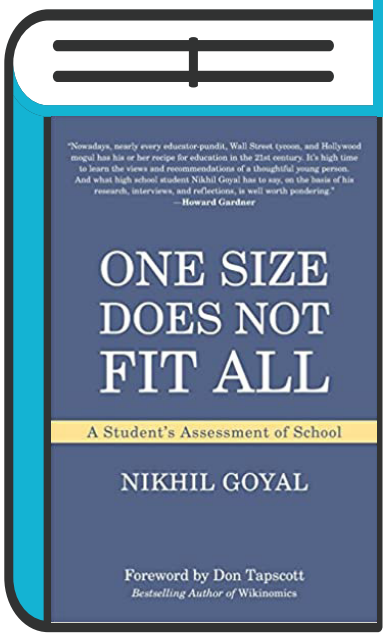

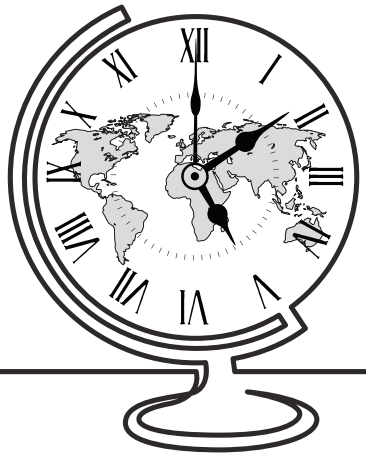

- ✓ لماذا يجب تغيير نظام التعليم؟
- ✓ المدارس تقتل الإبداع
- ✓ هل ما زالت الجامعة ضرورة؟
- ✓ الفنُّ ليس مجرَّد هواية

مبادرات ومشاريع مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

بالعربي
إحدى مبادرات مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
حقق وسم #بالعربي 3.5 مليارات مشاهدة

استراحة معرفة
KNOWLEDGE LOUNGE
نلتقي لنرتقي
Together we Prosper

برنامج دبي الدولي للكتابة
Dubai International Program for Writing
ورش الكتابة الإبداعية لشباب الوطن العربي كافة

www.mbrf.ae

في ثوانٍ...

مع مطلع عامنا هذا (2020)

شهدَ العالمُ تغييراً جذرياً بالمعنى الحرفي للكلمة، في كلِّ عصور التاريخ وبلا استثناء، وعبر الأجيال المتعاقبة، دأب كلُّ جيل على الإشارة إلى التغيير الذي يجتاح العالم، لكنَّ ما أحدثته جائحة «كورونا» وما طالَ العالمَ من تغيير، لم يشهده تاريخ البشريَّة فعلاً لا مجازاً.

أثارت إعجابي إشارة المؤلِّف الشاب «نيكل جويل» إلى أنَّ كلَّ شيء تغيَّر في عصرنا الحديث إلا التعليم، وهذه الحقيقة كانت واضحة حتَّى مطلع هذا العام، فقد ظلَّ نموذج الإنتاج الصناعي مسيطراً على طرق التدريس حتَّى أشهر خلت، رغم أنَّ الإبداع والازدهار البشري يتمُّ بطريقة طبيعيَّة وليس بطريقة ميكانيكيَّة، فمن المستحيل أن نتوقَّع نتائج ومخرجات ابتكاريَّة في التنمية البشريَّة ما دمنا ندير التعليم وكأنَّه عملية تصنيع، وعلينا أن نزرع ونروي بطرق طبيعيَّة ونبرع في جني ثمار التعليم، أي إنَّ علينا غرس الشجرة في التربة الصالحة وتهيئة الظروف المناسبة لنمو وازدهار كلِّ نبتة وبما يلائم طبيعتها واحتياجاتها، وهذا يعني أن نتعامل مع كلِّ طالب كغرسة مختلفة عن غيرها، فنرعاها ونتركها تنمو بما يتلاءم مع خصائصها في أفضل تربة تُمكِّنها من الاخضرار وطرح أطيب وأزكى وأيضاً «أذكى» الثمار.

في كتاب «حرِّك أفكارك وتعلَّم أسرار الابتكار» الذي نشرناه عبر «قنديل» يقول المؤلِّف: «التعليم الأكاديمي صار مثل تصنيع الوجبات السريعة، نمطيًّا ومتشابهًا في الطعم واللون والرائحة، فسواء اشتريت البيتزا في أمريكا أو الصين أو الإمارات، فعلى الأرجح أنَّك ستلمس وتشمُّ وتتذوَّق نفس الشكل واللون والطعم والرائحة»، لكنَّ عصر التشابه وتصنيع الطلاب قد ولَّى إلى غير رجعة.

حين أجبَر «كوفيد-١٩» الطلابَ حول العالم على المكوث في منازلهم والتعلُّم عن بعد، انخفض تأثير المعلِّمين المباشر في التلاميذ، وراح كلٌّ منهم يتعلَّم من الإنترنت ومن التكنولوجيا باستقلاليَّة كنَّا نفتقدها وننادي بها منذ عقود، وها هي الأزمات تتحوَّل إلى فرص وتجبر واضعي سياسات التعليم على تمكين التلاميذ ومنحهم المزيد من الحريَّة في أن يبادروا إلى تعليم أنفسهم أولاً، والتعلُّم بطرق وأساليب مختلفة عبر منصَّات التعليم الإلكتروني المنتشرة حول العالم، بكلِّ اللغات، ثانياً.

هذه هي فكرة كتاب «ليس هناك مقياس لكلِّ الناس»، فكما يقول «جويل»: «طلاب اليوم الذين شهدوا العصر الرقمي، يتعلَّمون بشكل مختلف، فقد تربَّوا على البحث عبر «جوجل» و«ويكيبيديا»، ويتمتَّعون بفضول يدفعهم إلى التساؤل وعدم الاعتماد على المعلِّم ليزوِّدهم بخريطة طريق يتَّبعونها حرفيّاً، فهم يريدون حواراً متبادلاً، لا محاضرات يسيطر عليها طرفٌ واحد، وهذا ما يُحتِّم وضع خطَّة لتغيير المدارس، وإعادة ابتكار مهنة التدريس».

جمال بن حويرب

المدير التنفيذي

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

تغيير نظام التعليم

لو أنَّ شخصاً كان قد نام قبل 300 عام، ثمَّ استيقظ اليوم ورأى ما أصبحت عليه المهن المختلفة – فالطيَّار يقود طائرة نفاثة، والمهندس يصمِّم سيَّارة على برنامج «أوتوكاد» ثمَّ تطير في الهواء، وأجهزة تلمع في أيدي الناس وتتكلَّم – لتعجب من التغييرات التي أدخلتها التكنولوجيا على حياتنا. ولكن إذا ما دخل قاعة دراسية في أيَّة جامعة أو مدرسة، فسيشعر بالألفة لأنَّ شيئاً لم يتغيَّر، فنموذج التعليم المعمول به حتى الآن في أغلب دول العالم ما زال يتمحور حول المعلِّم، ويعتمد على استراتيجية تدريس موحَّدة مع جميع الطلاب، دون النظر إلى الفروق الفرديَّة بينهم، أمَّا الطالب فهو في عُزلةٍ تامَّة عن العمليَّة التعليميَّة، وليس جزءاً منها؛ الطالب غير متحمِّس للتعلُّم، وينتظر نهاية الدقيقة الأخيرة في الحصَّة الأخيرة في كلِّ يوم دراسي، ليخرج من الفصل الدراسي مهرولاً.

لماذا يجب تغيير نظام التعليم؟

يُجبرنا سوق العمل على أن نتحرَّك بسرعة، فمنذ عقود مضت، كان يمكنك أن تجد وظيفة متوسِّطة براتب مناسب اعتماداً على المهارات التي تعلَّمتها في المدرسة، ولكن لم يعد هذا متاحاً اليوم، ولن تُبعث إلى الحياة ملايين الوظائف التي انقرضت، بل إنَّ مهناً أخرى لم تنشأ بعد، ستظهَر في المستقبل القريب، رغم انفصال المناهج التعليميَّة عن هذا الواقع تماماً، ففي أمريكا، على سبيل المثال، يتسرَّب طالب من التعليم كل تسع ثوانٍ، وقد توصَّلت دراسة إلى أنَّ 81٪ من الطلاب المتسرِّبين يقولون إنَّهم لم يكونوا ليتركوا المدرسة لو أنَّهم وجدوا ارتباطاً بين ما يتعلَّمونه وبين الحياة الواقعيَّة.

هل حقّاً يكره الطلابُ مدارسهم؟

الإجابة واضحة، المدرسة في أعيُن الأطفال مملَّة، ولا علاقة لها بحياتهم في الواقع، وللأسف كلَّما حاول بعض المبادرين تغيير نظام وطرق أداء المدارس، واجه نفس المشكلة، وهي أنَّ كل عناصر العمليَّة التعليميَّة يفترضون أنَّه ما دام هذا النظام مستخدماً من قرون، فلا بدَّ أنَّه الأصلح، كما أنَّ أغلب المعلِّمين خبراء في هذا النظام، فقد تعلَّموا في إطاره، وكذلك الآباء والأمَّهات الذين كانوا قد عايشوه وأَلِفوه وقبِلوه وأدمنوه قبل أبنائهم.

يُودَع الأطفال المدارس كالمساجين الذين يتمُّ إيداعُهم الغرفَ الصفِّيَّة! فالسجون والمدارس تتشابه بشكل مذهل، ففي كلتيهما تتلقَّى تعليمات حول ما يجب أن تفعله ومتى تفعله، ومهام يومك يحدِّدها قرع الأجراس، والحضور إجباري، ويمنع استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، كما يتمُّ عزلك عن باقي أفراد المجتمع أثناء اليوم الدراسي، فقد نشأ نظام المدارس الحكوميَّة هذا بعد هزيمة «بروسيا» الألمانيَّة على يد «نابليون» في عام 1807، فوضع بعدها الملك «فريدريك ويليام» الثالث نظام المدارس الوطني، وفي هذا النظام كان على الأطفال من عمر سبعة أعوام وحتى أربعة عشر عاماً الذهاب إلى المدرسة إجباريّاً، وإن لم يلتزم الآباء بهذا يتمُّ انتزاع أطفالِهم منهم، وقد تأثَّر هذا النظام بقوَّة بفكر الفيلسوف الألماني «يوهان جوتليب فختة» الذي كان يعتقد أنَّك لو أردت التأثير في الطالب، فعليك أن تنشئه على الطاعة، فلا ينفِّذ إلا ما تأمره به، وبهذه الطريقة استطاعت «بروسيا» أن تكوِّن جيشاً من الجنود المطيعين والمدرَّبين على منظومة أداء مقنَّنة ومتشابهة ومتكرِّرة.

يرى المؤلّف والمُربّي «جون جاتو» أنّ الإصلاحيين في مجال التعليم اقتبسوا ثلاث أفكار رئيسة من نظام «بروسيا»:

الفكرة الأولى

الهدف من التعليم الحكومي هو تربية الأطفال على «الطاعة، والخضوع، وحياة القطيع».

الفكرة الثانية

تقسيم الأفكار الكلية إلى «مواد» مجزّأة، وتقسيم اليوم الدراسي إلى فترات زمنيّة ثابتة، أو «حصص»، يتمّ خلالها إخراس الحافز الذاتي للتعلّم بالمقاطعات التي لا تنتهي.

الفكرة الثالثة

تتمثّل في اعتبار الدولة الأمّ والأب الحقيقيين للأطفال.

نحتاج إلى تعليم جديد

السؤال الذي علينا طرحه على الطلاب، وصنّاع سياسات التعليم، والمعلّمين، والإداريّين، والآباء والأمّهات هو: كيف يمكننا تغيير التعليم كلياً؟

بدايةً، لا يمكننا إصلاح التعليم لأنّ لفظ «الإصلاح» يوحي بأنّ نموذجاً صحيحاً كان موجوداً في الأساس، كما لا يمكننا إنهاء العمل بنظام التعليم الحكومي، على الأقل من الناحية العمليّة، فماذا نفعل إذن؟

لا بدّ من استبدال نموذج التعليم الحالي بآخر؛ يقول الشيخ «أحمد زكي يماني» وزير البترول السعودي في سبعينيات القرن العشرين: «لم ينقضِ العصر الحجري بنفاد الحجر، وسينتهي عصر النفط قبل أن ينفد النفط من العالم بوقت طويل»، فما علاقة هذا بالتعليم؟ لا بدّ أن يتعلّم الأطفال كيف يواجهون عالماً لا يستطيع أحد التنبُّؤ به، وتؤكّد «كاثي ديفيدسون»، المدير المساعد في المسابقة السنوية للإعلام والتعليم الرقمي التي تقيمها مؤسّسة «مكارثر»، أنّ 65٪ من طلاب المدارس اليوم سيعملون في وظائف لم تنشأ بعد.

فلنبدأ بأكثر الطرق المباشرة في تغيير نظام التعليم

✎ **أولاً:** يجب أن نلغي نظام المستويات التعليميّة، فإن تمّ تقسيم الأطفال وفقاً لمهاراتهم، لا أعمارهم، فسيكون هذا بمثابة رسالة صريحة إلى الأطفال تساعدهم على إدراك مواهبهم وما يحتاجون إليه من تطوير.

✎ **ثانياً:** يجب إعادة ابتكار شكل الصف الدراسي، ولقد عبّر المؤلّف البريطاني «جون لو كاريه» عن خطورة استمرار الصفوف الدراسية على حالها قائلاً: «من الخطر أن تشاهد العالم من وراء مكتبك»، فنحن بحاجة إلى الخروج من القاعة الدراسيّة، فالعالم هو المدرسة الحقيقيّة.

✎ **ثالثاً:** لا بدّ أن نتأكّد من أنّ عامّة الناس يدركون حقيقة الموقف، فبسؤال الآباء والأمهات إن كانوا يعتقدون بأنّ نظام التعليم يتهاوى، كانت أغلب الإجابات «نعم»، وعندما سُئِلوا: «لماذا؟» قال بعضهم لأنّ أولادهم لا يحصلون على واجبات مدرسيّة كافية، وقال آخرون إنّ هناك عدم اهتمام بتعليم الرياضيّات والعلوم، فلم يشتكِ أيٌّ من الآباء من كثرة الاختبارات، أو عدم كفاية جرعة اللعب التي يحصل عليها الأطفال، أو غياب الإبداع، إلا في أحوال نادرة، أي إنّ الآباء في وادٍ آخر، ولذا من المهمّ أن يدرك الجميع الموقف.

مهارات القرن الـ21

حدّد «تشارلز فاضل» و«بيرني تريلينج» في كتابهما «مهارات القرن الحادي والعشرين» أربع مهارات هي: التفكير النقدي، والتفكير الإبداعي، والتعاون، والتواصل؛ ويزيد «نيكل جويل» عليها: الخيال، والفضول، والمجازفة، والتغلُّب على الفشل.

1. التفكير النقدي: لا بدّ أن يتعلّم الأطفال تأمُّل ما درسوه، ثمّ اختباره، والدخول في نقاشات جادّة بشأنه، وطرح أسئلة عنه، وتوضّح الاستقصاءات أنّ التفكير النقدي هو أكثر مهارة يحتاج إليها الموظّف ليتمكّن من مساعدة مؤسّسته على النمو.

2. التفكير الإبداعي: يُبدع الإنسان إذا كان مستمتعاً بما يفعل ويحظى بحريّة الاختيار.

3. التعاون: أكثر سمة يريدها أصحاب العمل في موظّفيهم هي القدرة على العمل مع الآخرين، ما يدعونا إلى تحويل القاعات الدراسية إلى ساحات للتعاون، قوامها العمل الجماعي لا الفردي.

4. التواصل: وهو نقل المعلومة بوضوح من شخص إلى آخر، لأنَّ مهارات التواصل القويَّة ضروريَّة جدّاً للنجاح في كلِّ مهنة تقريباً.

5. الفضول: الأطفال بطبيعتهم فضوليُّون، ويطرحون عدداً لا نهائيّاً من الأسئلة، وقد أكَّدت الدراسات أنَّ المبدعين هم من احتفظوا بفضول الطفولة ولم يفقدوه أبداً.

6. المجازفة: تحفِّز المجازفة الأطفالَ، وتمكِّنهم من تجربة الأفكار الجديدة والاتجاهات المختلفة، فالخبرات التي تأخذك بعيداً عن دائرة الراحة، هي التي تزوِّدك بالقدرة على معرفة ما لم يكن بإمكانك تجربته من قبل، حتى إنَّ أحد المؤلِّفين الأمريكيين اختار عنواناً لكتابه معناه: «الحياة في التحوُّلات».

7. رفض الفشل: عندما يحاول الطفل المشي لأوَّل مرة، يقع، وبعد ثوانٍ معدودة تجده يعاود المحاولة مرَّةً أخرى، فهو لا يخاف الفشل؛ الخوف من الفشل شعور يزرعه المجتمع، إذ يمكننا أن نرى زهرة الإبداع تتفتَّح من خلال عمليَّة التجريب.

المؤثِّرون

إن لم تلتحق بالجامعة، فهذه ليست نهاية العالم، وهناك الكثير من قصص النجاح لأشخاص لم يدخلوا الجامعة قط أو لم يواصلوا دراستهم بها، إحداها قصَّة «ناتالي وارن».

وُلِدت «وارن» لعائلة كادحة في منطقة متواضعة في «شيكاغو»، وكانت العائلة كثيرة التنقُّل للبحث عن لقمة العيش، ولم يكن التحدِّي بالأمر الغريب أو غير المألوف بالنسبة إلى «وارن» التي التحقت بأربع مدارس ثانوية خلال أربع سنوات، ما جعلها تحصل على تقديرات مرتفعة في المرحلة الثانوية، وكانت طالبة مثاليَّة، لكنَّها حين تعترف، تقول: «عندما كنت أستيقظ من نومي كلَّ صباح، لم أكن أشعر بالرغبة في إنجاز أهداف غير عاديَّة، لأنِّي كنت مضطرَّة للذهاب إلى المدرسة وإنهاء واجباتي المدرسية؛ هكذا كانت حياتي».

ثمَّ تغيَّرت حياتها فجأة، ففي نهاية المرحلة الثانوية شاهدت فيلماً بعنوان «أطفال مختفون» يدور حول الأطفال الذين يتمُّ تجنيدهم في شرق إفريقيا، فسألت نفسها عمَّا يسعها أن تفعله لتساعد هؤلاء الأطفال، وأدركت في هذه اللحظة أنَّها يمكن أن تحيا من أجل هدف، بدلاً من أن يرسم لها الآخرون خطَّ سير لحياتها، وبالفعل تحدَّثت «وارن» إلى والديها وقرَّرت أن تؤجِّل دخول الجامعة لبعض الوقت، وانتقلت إلى «كاليفورنيا» لتبدأ العمل من أجل قضيَّة الأطفال المختفين في إفريقيا.

لم تلتحق «وارن» بالجامعة، ولم تعد تخطِّط لذلك، بل سافرت حول العالم وهي في الحادية والعشرين من عمرها للتوعية بقضيَّة هؤلاء الأطفال، كما استضافتها مقدِّمة البرامج الشهيرة «أوبرا وينفري» في برنامجها التلفزيوني، وألقت محاضرة في مؤتمر «تيد» شاهدها الملايين.

لا بدَّ أن يكون ما نتعلَّمه خارج المؤسَّسات التعليميَّة جزءاً من هذه المؤسَّسات، وفي هذا الشأن يقول «كارنجا نابرا كورن» – مؤسِّس موقع «سكيل شير»، أو «مشاركة المهارات» الذي يمكنك أن تتعلَّم من خلاله أيَّ شيء: «سيركِّز نموذج التعليم في المستقبل على المؤثِّرين، لا على الأكاديميين والمنظِّرين، وهذا يعني أنَّ الشهادة الجامعيَّة بحدِّ ذاتها لم تعد مُهمَّة، فالمهمُّ هو التعلُّم والأداء»، فلا بد أن تثبت للعالم أنَّ لديك ما يميِّزك عن غيرك.

المدارس تقتل الإبداع

نشرت مجلة «نيويورك تايمز» دراسةً مهمَّةً أُجريت على 1500 طفل في مرحلة رياض الأطفال، تتراوح أعمارهم بين ثلاثة وخمسة أعوام، وأُعطِيَ الأطفال اختباراً في التفكير المتباين، وكانت النتائج مذهلة: تمَّ تصنيف 98٪ من الأطفال بوصفهم عباقرة في التفكير المتباين أو المتقابل، لكنَّ المؤسف ما توصَّلت إليه الدراسة فيما بعد، فبعد قضاء خمس سنوات أخرى في التعليم الرسمي بقيَ 50٪ فقط من الأطفال في مستوى العبقريَّة، وببلوغهم سن العاشرة انخفضت النسبة إلى 32٪، وفي سنِّ الخامسة عشرة أصبحت مجرَّد 10٪، وعند اختبار 200 ألف من الكبار، أفادت الدراسة بأنَّ 2٪ فقط منهم مفكِّرون مبدعون، وهذا يعني ومن دون أدنى شك أنَّ: المدارس تقتل الإبداع!

كثيراً ما نسمع بعض الناس يقولون: «لا يمكن أن يكون الجميع مثل إلون ماسك وبل جيتس وآينشتين»، وهناك من يعتقدون أنَّ «المبدعين قِلَّة»، فالناس يعتقدون أنَّ الإبداع سحر، لا يمتلك أسراره إلا المحظوظون الذين وُلِدوا بهذه الهِبَة، وهذا اعتقاد خاطئ لأنَّ جميع الأطفال مبدعون، فلو أنَّنا حافظنا على أعلى مستوى من الإبداع لدى أطفالنا، فسيصبح لدينا ملايين المبدعين في كلِّ مستويات التعليم وفي كلِّ التخصُّصات والمجالات.

التجربة الفنلندية في التعليم

في فنلندا أن تلتحق بالجامعة لدراسة القانون أو الطبِّ أيسر من أن تدرس لتصبح معلِّماً للمرحلة الابتدائيَّة، وهذا ما نجده في كوريا الجنوبية أيضاً، وفيما يلي نظرة إلى نظام التعليم الفنلندي تؤطِّر المبادئ الرئيسة التي يقوم عليها هذا النظام:

- توجيه الموارد إلى من يحتاجها أكثر.
- الحفاظ على التوازن بين المركزيَّة واللامركزيَّة.
- توجيه الدعم إلى ذوي الاحتياجات الخاصَّة.
- تقييم التعليم.
- تأهيل المعلِّمين.

وفوق ذلك فإنَّ الفنلنديين يقدِّرون الإبداع والتفرُّد، وبالنسبة إلى المنهج الدراسي يدرس الطلاب اللغتين الإنجليزيَّة والفنلنديَّة، والرياضيات، والعلوم، ولا يزيد منهج الرياضيات عن عشر صفحات، أما عن العلوم فقد وجدت دراسة أنَّ الطلاب في فنلندا يمارسون كثيراً من المهام العلميَّة، كما يتلقَّى 30٪ من الأطفال الفنلنديين نوعاً من الدعم الخاص خلال السنوات التسع الأولى من المدرسة، حيث يعمل التربويون على تشخيص المشكلات في مرحلة مبكِّرة قبل أن تسوء الأمور مع تقدُّم الطلاب في العمر، علاوة على ذلك يحظى الأطفال في المرحلة الابتدائيَّة بخمس وسبعين دقيقة يوميّاً للاستراحة.

وأكثر ما يدعو للدهشة بشأن العوامل التي تجعل من نظام التعليم الفنلندي نظاماً متفرِّداً بين كلِّ الأنظمة الأخرى هو أنَّهم رفضوا اتباع نظام الاختبارات الموحَّدة الذي شاع في معظم دول العالم، فقد خَلُص مجلس التعليم الوطني في فنلندا إلى أنَّ مثل هذه الاختبارات تستهلك كثيراً من وقت التعلُّم، وتكلِّفهم كثيراً من المال والوقت والجهد من أجل وضعها، وإجرائها، وتصحيحها، وتولِّد قدراً كبيراً من الضغط النفسي، كما كانت لديهم قناعة واضحة على مستوى القيادة السياسيَّة والحكوميَّة أنَّ تطوير التعليم هو السبيل الوحيد أمام فنلندا كي تنضمَّ إلى دول العالم الصناعي والذكي والمتقدِّم.

الفشل اختيار والنجاح كذلك

كانت «جوان رولينج» تُدَرِّس اللغة الإنجليزيَّة في معهد للغات بالبرتغال، بينما كانت تكتب أول جزء من روايتها الأولى «هاري بوتر»، ثمَّ حدث أسوأ ما يمكن أن تواجهه، إذ فشلت حياتها الزوجيَّة بعد 13 شهراً من عقد قرانها، وخرجت منها بطفلة رضيعة، فشكَّلت هذه الأزمة الأساس الذي ستعيد بناء حياتها عليه من جديد، فبدأت «رولينج» توجِّه كلَّ طاقتها لإنهاء العمل الوحيد الذي كانت تشعر نحوه بالشغف، وفي شهر ديسمبر من عام 1993، وصلت إلى أدنبره في اسكتلندا لقضاء عطلة عيد الميلاد مع أختها، وعندما قرأت

عليها بعض فصول الرواية، أطلقت أختها ضحكة أحيت فيها الأمل من جديد.

كانت «رولينج» تعيش مع طفلتها في شقّة من غرفة واحدة، ودخلها الوحيد هو الإعانة الشهريّة التي تحصل عليها من الحكومة البريطانيّة، وقالت «رولينج» بعد ذلك بسنوات، إنّها كانت تعاني اكتئاباً شديداً في تلك الفترة، فماذا فعلت بعد ذلك؟ بدأت تستكمل روايتها وتحاول نشرها، ثمّ وقّعت عقداً مع وكالة تمثّلها في البحث عن ناشر، وبالفعل وافقت دار «بلومزبيري» على نشر روايتها بعد أن رفضتها 12 دار نشر أخرى، وما حدث بعد ذلك يعرفه الجميع، فأجزاء رواية «هاري بوتر» أصبحت الأكثر مبيعاً وتحوّلت إلى سلسلة أفلام تطبّق شهرتها الآفاق، واليوم تعتبر «رولينج» من أثرى أثرياء العالم.

عندما نتحدّث عن قصص الناجحين، قد نُغفِل الحديث عن الطريق الوعر الذي سلكوه حتّى وصلوا إلى النجاح، ونُغفِل الإخفاقات والإحباطات والأيّام الصعبة التي كانوا فيها على مشارف اليأس وحافّة الهاوية، فالفشل أمر حتمي في رحلة الحياة، لكن من المؤسف أن يتمّ غسيل عقول الأطفال في المدرسة لتخويفهم من خوض طريق مجهول.

تقول الكاتبة «كاثرين شولز»: «يعتقد الناس أنّهم يفشلون بسبب عيب في شخصيّاتهم، أو لأنّهم مستهترون، أو جهلاء، أو حمقى، وهذا الاعتقاد يعزّز فكرة أنّ الفشل أمر غير مقبول» لأنّ تكرار ارتكاب الأخطاء ضروري للوصول إلى الإجادة والإتقان، وتضيف «شولز»: «يتعلّم الأطفال بشكل أفضل عندما يحدث ما يخالف معتقداتهم أكثر ممّا يتعلّمون عندما يحدث ما يؤكّدها».

وتعود «رولينج» وتؤكّد هذا المعنى في كلمتها التي ألقتها في حفل تخريج دفعة 2008 في جامعة «هارفارد»، حيث قالت تخاطب خرّيجي «هارفارد»: «المعرفة التي اكتسبتموها من خلال أخطائكم وأمدّتكم بالحكمة والقوّة، تهبكم القدرة على مواصلة الحياة؛ إنّكم لن تعرفوا أنفسكم حقّ المعرفة، أو تختبروا مدى قوّة علاقاتكم، حتّى تخوضوا غمار الأزمات، فهذه المعرفة هي النعمة الحقيقيّة لأنّ ما تفوزون به بعد الألم هو أثمن وأهمّ من أيّة شهادة حصلتم عليها».

معضلة الاختبارات

الاختبارات بدعة حديثة اجتاحت الشعوب، فبدلاً من أن تعمل المدارس على رفع المستوى التعليمي للطفل، تحوّلت إلى مصانع لإنتاج الاختبارات التي أصبحت مصدراً للضغط النفسي، فالاختبارات مجرّد مقياس واحد لأداء الطفل، لقطة واحدة في مشهد كبير مليء بإنجازاته، مجرّد أرقام تحدّد وضع المدرسة لدى وزارة التعليم.

وقت اللعب

اللعب في السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل مهمٌّ للغاية، ليس لنموّه العقلي فقط، بل للنموّ الوجداني والنفسي والاجتماعي والروحي أيضاً، فاللعب يغرس في الأطفال الإحساس بالتعاطف، فيؤدّي كلٌّ منهم أدواراً متعدّدة، ويرى الأمور بأعين مختلفة، وتؤكّد «كاثي هيرش باسيك» –أستاذ علم النفس في جامعة «تيمبل»– أنّ الطفل يحتاج إلى تنمية ستّ مهارات مهمّة: التعاون، والتواصل، والرضا، والتفكير النقدي، والإبداع، والثقة بالنفس.

يمكن أن يكتسب الطفل هذه المهارات من خلال لعبه مع

طفل آخر عندما يحاولان، مثلاً، بناء قلعة من الرمال، فيتعاون الاثنان، ويتبادلان الأفكار حول البناء، وينصت كلٌّ منهما للآخر، فيجدان أنفسهما بحاجة إلى الاتفاق حول ما يلزمهما لبناء القلعة الحلم، ويحتاجان إلى التفكير النقدي لأنّهما إن لم يفعلا، فستنهار القلعة قبل اكتمالها، كما يحتاجان إلى الإبداع في التصميم، وسيجازفان بوضع دلو الرمال الأخير على قمّة القلعة للتأكُّد من تماسك البناء، وفي النهاية تصبح القلعة بناءً قائماً.

بالمقابل، تكون النتائج على النقيض من ذلك عندما يُحرَم الطفل من اللعب، ويؤكّد بحث للطبيب النفسي «ستيوارت براون» أنّ أغلب المجرمين الذين عرفهم التاريخ قد حُرِموا في طفولتهم من اللعب، ومن هنا أدركت ألمانيا أنّ اللعب أحد أهمّ الموارد الطبيعيّة للاقتصاد في العصر الحديث الذي يقوم على الإبداع، وأكّد بحث آخر في سبعينيات القرن العشرين أنّ الأطفال مع وصولهم الصف الرابع في المدرسة، وبعد قضائهم مرحلة الروضة في مدرسة تهتمّ بتوظيف اللعب في القاعات الدراسية، يتفوّقون على أقرانهم -الذين يقضون نفس المرحلة في مدارس تهتمّ بالجانب الدراسي فقط- يتفوّقون من الناحية الجسديّة، والاجتماعيّة، والوجدانيّة، والعقليّة، وقد دفعت هذه النتائج ألمانيا إلى تعميم التعليم القائم على اللعب في مرحلة رياض الأطفال.

هل ما زالت الجامعة ضرورة؟

إن كان هدف الجامعة هو تعليم الطلاب، فقد فشلت الجامعات في مهمّتها، لماذا؟ لأنّ أغلب الطلاب يتخرّجون في الجامعة من دون تلقّي برامج دراسيّة قويّة، اللهمّ إلا القشور، والتي لا تتجاوز نتائجها تحسُّناً طفيفاً أو معدوماً في بعض المهارات كالكتابة والتفكير التحليلي، وفي الحقيقة لا يتوقّع الطلاب أن ينتهي بهم الأمر إلى الحصول على وظائف متدنّية بعد التخرُّج. يقول «ديل ستيفينز»، مؤسّس حركة «لا للتعليم الجامعي»: «لن تصبح الشهادة الجامعيّة تذكرة إلى النجاح لمجرد أنّ كثيرين يلتحقون بالجامعة»، فإن كنت تحمل شهادة جامعيّة، ولا تستطيع أن تجيب عن هذا السؤال: «ما الذي يميّزك عن غيرك؟» فأنت مجرّد واحد من ملايين الأشخاص الذين يُشبهونك تماماً.

كُلُّنا روّاد ومبادرون

كان «ستيف ماريوتي» رجل أعمال يدير مؤسّسة تعمل في الاستيراد والتصدير، وتعرّض «ماريوتي» ذات يوم لحادث غيّر مجرى حياته، فقد اعتدى عليه مجموعة من المراهقين بالضرب، وسرقوا نقوده، فظلّ «ماريوتي» يخاف من كلّ المراهقين لفترة، وبعد عدّة أشهر من التفكير في أسباب عنف المراهقين، قرّر «ماريوتي» أن يترك عمله في عالم الأعمال، ويعمل معلّماً في إحدى أفقر المدارس في «نيويورك».

في اليوم الأول من عمله في المدرسة الثانويّة المشتركة في «بروكلين» تحطّم حماسه وتفاؤله على صخرة شغب الطلاب وتنمُّرهم عليه، فقد أطلقوا عليه اسماً سخيفاً، وألصقوا علكة بمقعده، وأشعل أحد الطلاب النار في معطف زميله، كلُّ ذلك جعل المدير يلقّبه بـ«أسوأ معلّم في المدرسة»، لكنّ «ماريوتي» لم ييأس، فدعا بعض المشاغبين الذين أساؤوا السلوك في الصفّ إلى العشاء، وعندما سألهم عن السبب وراء سلوكهم، أجابوا بأنّ الصف كان مملّاً وأنّه لم يكن يقدّم لهم شيئاً مفيداً. فسألهم إن كان استرعى انتباههم أيُّ شيء ممّا قاله داخل الصفّ، فأجاب أحدهم أنّ حديثه عن مشروعه لفت انتباهه، وراح الفتى يعرض الأرقام التي ذكرها «ماريوتي» خلال الحصّة، ويحسب هامش الأرباح، واستنتج أنّ المشروع كان يسير على ما يرام، فانبهر «ماريوتي» من وجود مثل هذا المستوى من الذكاء في مجال ريادة الأعمال عند هؤلاء الطلاب الذين تمّ وصمهم أنّهم أغبياء دراسيّاً، فكانت هذه نقطة تحوُّل كبيرة في مسار «ماريوتي» المهني.

بدأ «ماريوتي» يدرّب طلابه كيف يجنون المال من خلال دورة تدريبية طوّرها بعنوان «كيف تبدأ وتموّل وتدير مشروعاً صغيراً: دليل رائد الأعمال الإنسان»، نجحت هذه الدورة نجاحاً مدوّياً حتّى إنّ أكثر الطلاب شغباً وعناداً جلسوا

إليه في الصفّ وتعلّموا الكثير، وفي آخر دورة له بدأ جميع طلابه ينشئون مشروعات صغيرة، وأكّدوا أنّ حياتهم شهدت تحوُّلات إيجابية كبيرة بفضل هذه الفكرة.

يقول «ريد هوفمان» و«بن كازنوكا» في كتابهما «أنت أيضاً صاحب عمل»: «أنت خُلِقتَ رائد أعمال، ولا يعني ذلك أنّك خُلِقتَ بالضرورة لتنشئ مؤسّسة، فكلُّنا روّاد أعمال لأنّ إرادة الإبداع جزء من الحمض النووي البشري، ولأنّ الإبداع جوهر ريادة الأعمال».

يمكن تدريب الشباب على ريادة الأعمال بطرق عديدة منها الكتب والمحاضرات، لكنّ أفضل الطرق للتدريب عليها هو الممارسة العمليّة، فلا بدّ أن يتعلّم كلُّ شابٍّ ذلك ويكتسب الخبرة العمليّة، ويستخلص الدروس المستفادة من المشروعات الناجحة والفاشلة على السواء، ويجب أن نتوقّف عن تلقين أبنائنا ما يجب أن يفعلوه، وندعهم يختبرون ميدان العمل الحقيقي، ليبدأ كلٌّ منهم مشروعه الخاص، ويجب أن نعيد تعريف معنى ريادة الأعمال لأنّ التعريف اللغوي والمعجمي خطأ، فإنّ رائد الأعمال شخص يريد أن يجسّد حلمه في الواقع، ويمكن لكلٍّ منّا امتلاك أفكار جيّدة، لكنّ التنفيذ هو ما يميّز الفائز من الخاسر، فينبغي أن يدرك المربُّون وصنّاع السياسات أنّ روّاد الأعمال يوفّرون فرص العمل، ويجعلون حياتنا أفضل، وأكثر رفاهيةً وسعادةً من خلال الخدمات والمنتجات التي يقدّمونها حول العالم.

الفنُّ ليس مجرّد هواية

يحتاج الأطفال أسباباً تحفيزيّة تشجّعهم على الذهاب إلى المدرسة كلّ يوم، والفنون أحد هذه الأسباب، فدراسة الفنّ أمرٌ أساسيٌّ لتحفيز الإبداع عند الطفل والسبيل إلى تنمية مهارات الفصّ الأيمن من المخّ: التعاطف، والمشاعر، والدوافع؛ فالفنون تستثير الخيال، وهي أفضل أحداث اليوم الدراسي بالنسبة إليه، ودراسة الفنون تُكسِب الطالب القدرة على الملاحظة، والمثابرة عند التعامل مع المشكلات، والتعبير بوضوح عن نفسه، وتتيح له فرصة التساؤل.

عندما يندمج العلم والفنُّ معاً، يمكن أن نحقّق نتائج باهرة، لذلك يدرس جميع طلاب السنة الأولى في كليّة الطبّ في جامعة «ييل» مادّة الفنون، وقد قامت «ليندا فرايدلايندر» – مديرة التعليم في مركز «ييل» للفنّ – بتصميم دورة خاصّة لطلاب الكليّة لشحذ مهارة الملاحظة لديهم، وهي مهارة يمكن للطبيب الذي يتحلّى بها أن ينقذ حياة مريض، وتقول «فرايدلايندر»: «عندما تعرض لوحة فنيّة على الزائرين، اطلب منهم أن ينظروا إليها بعناية قبل أن يحاولوا فهمها، ومع طلاب الطبّ، نقضي وقتاً طويلاً في وصف اللوحة للوقوف على أكبر قدر ممكن من التفاصيل، قبل أن ننتقل إلى تفسير المعنى الذي تعبّر عنه اللوحة، وقد ساعدت هذه العمليّة الطلاب على المستوى المهني عند ملاحظة المرضى في محاولة للوصول إلى تشخيص سليم».

مناهج بلا منهجيّات

كان «نيكل جويل» يكره المدرسة بسبب الطريقة التي كان يتعلّم بها، فهو لم يقتنع بحشو عقله بمحتوى لا يفيد، بل كان يريد أن يتعلّم كيف يبتكر ويحقّق إنجازات، وينبغي أن يكون السؤال التالي هو المرشد والموجّه للمناهج التعليميّة التي توضع للطلاب: «كيف يمكن أن نشعل شرارة التعلُّم لدى أطفالنا؟».

يحدّد الكاتب «كيلي جالاجر» ثلاث مشكلات رئيسة وراء تردّي مستوى القراءة والتعليم بين الأطفال:

- **أولاً:** تفتخر المدارس بالناجحين في الاختبارات، لا بمن يمارسون القراءة طوال حياتهم.
- **ثانياً:** يبالغ المعلّمون في الاعتماد على الكتب المدرسيّة، بمعنى أنّهم يحاولون تقديم كلّ شيء في كتاب واحد بدلاً من أن يقدّموا شيئاً واحداً مفيداً ومستفيضاً في كتاب أو عدّة كتب متميّزة.
- **ثالثاً:** لا يعطون بعض الكتب حقّها في التدريس، فهم يُدرِّسونها للطلاب من دون تحليل وتفسير المادة جيداً.

ثمّ يقترح «جويل» ربط القراءة بالحياة الشخصية للأطفال، وأن تكون دراسة الأدب اختياريّة لا إجباريّة في المدارس، فالأطفال يفضّلون الروايات الخيالية الحديثة على الأعمال الأدبيّة الكلاسيكيّة، ويقرؤونها طواعيةً لأنّهم يستمتعون بها.

وفيما يتعلّق بالكتابة، فالمدارس تهملها أيضاً، ويؤكّد «جويل» أنّه قضى وقتاً أطول في تعلُّم القواعد اللغويّة من تعلُّم وممارسة الكتابة فعليّاً. فالكتابة مهارة تتطلّب أكثر من مجرد إتقان القواعد اللغويّة والتهجئة وعلامات الترقيم، ويمكنك أن تجد الكثير من الطلاب الذين يستطيعون إعراب كلّ كلمة في الجملة ببراعة، ولا يجيدون الكتابة، وينبغي أن نخصّص وقتاً أكبر للكتابة، وأن نلغي كلّ الوقت المهدَر في تحفيظ الأطفال أغنيات القواعد اللغويّة.

من المواد الدراسيّة الأخرى التي لا يحبُّها الطلاب: التاريخ، فهو ليس إلا عملية استظهار لمئات التواريخ والأسماء والأحداث، فقد حثّ الرئيس الأمريكي الأسبق «توماس جيفرسون» على تدريس التاريخ السياسي في المدارس، ليكون الشعب قادراً على تحديد ما يحسّن حياته، وما يضرها، فشعب لا يفهم التاريخ، لن يميّز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر.

يقترح «جويل» استخدام الألعاب التعليميّة في الصفوف الدراسيّة، لأنّه أحبَّ التاريخ والجغرافيا بفضل لعبة إلكترونيّة تسمى «أين كارمن سانديجو؟»، ومن الضروري الاهتمام بالعمق والمعنى بالأساليب التالية:

✎ **أولاً:** قدِّم لهم موضوعات قليلة ثمّ تناولها بالتفصيل.

✎ **ثانياً:** خصِّص أياماً لتحليل الأحداث والشخصيّات من خلال مشروعات تعليميّة، وأفلام، وموارد أخرى، بهدف التركيز على الصورة الكليّة، وربط التفاصيل الدقيقة بعضها ببعض.

✎ **ثالثاً:** للمنافسة دورٌ حيويٌّ في التعلُّم. اطلب من الأطفال تقديم عروض تمثيليّة حيّة.

✎ **رابعاً:** أتِح للأطفال فرصة اختيار موضوع يقدِّمون فيه بحثاً، وحدِّد موعداً نهائيّاً لتسليمه، ونظِّم مجموعات للمناقشة، ويمكن تخصيص وقت لكلّ طالب ليعمل بمفرده ويستشيرك عند الحاجة.

✎ **خامساً:** نظِّم رحلات مدرسيّة إلى الأماكن التاريخيّة.

بناة الوطن

في كوريا الجنوبية، يحترمون المعلّمين ويلقّبونهم بـ«بُناة الأمة»، وكذلك هي الحال في فنلندا، حيث يتمُّ انتقاء أفضل الطلاب وأكثرهم ذكاءً لدخول كليّة التربية والعمل في مجال التدريس، فالآباء يودعون أغلى كنز لديهم بين يدي المعلّمين لمدة 180 يوماً كل عام، وعلينا أن نتأكّد قبل دخول المعلّم للصف الدراسي أنّه قد تلقّى تدريباً كافياً، ويؤكد «مالكولم جلادويل» هذا المعنى في كتابه «الاستثنائيُّون وكيف ينجحون» شارحاً قاعدة الـ10 آلاف ساعة، حيث أكّد أنّ مفتاح التفوُّق في أيّ مجال هو التدريب المستمر على عمل بعينه لمدة 10 آلاف ساعة، ولا يبلغ أداء المعلّمين ذروته إلا بعد سنوات من ممارسة المهنة، ما يعني أنّهم يحتاجون إلى تنمية مهنيّة مستمرّة، وليس المقصود بذلك حضور الدورات النظريّة التي يستمعون فيها إلى مدرِّبين يسوِّقون مهاراتهم، بل يتعيّن على المدارس تخصيص بضعة أيام كلّ شهر –مدفوعة الأجر– يتفرّغ فيها المعلّم ليجرِّب ويتعلّم ويطبّق مفاهيم جديدة داخل الصفّ الدراسي.

ليس دور المعلّم أن يفرض أفكاراً بعينها على الطالب، أو أن يشكّل لديه عادات محدّدة، وإنّما أن ينتقي العوامل التي تؤثّر في الطفل، ويساعده على الاستجابة لهذه العوامل على نحو مناسب، ويمكن لنظام التعليم الرسمي أن يكون صالحاً إن امتلك الطلاب زمام تعليمهم بأنفسهم، وكُرِّم المعلّمون ماديّاً ومعنويّاً، وحصلت المدارس على التمويل الكافي، وعومل الطلاب باحترام، لأنّهم بشر وليسوا آلات، وبدلاً من أن نقول: «علينا إعداد الأطفال لمواجهة الحياة الواقعيّة»، يجب أن نجعل المدارس نفسها ساحات يمارس فيها الطلاب الحياة الواقعيّة، ويقول الدكتور «محمد يونس» – مؤسّس بنك «جرامين» لإقراض الفقراء، والفائز بجائزة نوبل للسلام –

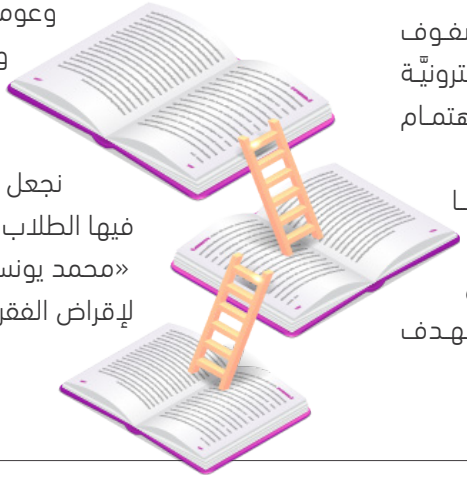

«ليس من الضروري أن تنتظر حتى ترى أثر عملك في ملايين البشر، فالملايين رقم ضخم جدّاً، لكن إن كان لعملك أثرٌ إيجابيٌّ في خمسة أو عشرة أشخاص، فلقد نجحت في إنتاج بذرة يمكنك أن تزرعها ملايين المرّات».

كاتب أمريكي ذو أصول آسيويَّة يكتب في عدَّة صحف ومجلات أمريكية منها «نيويورك تايمز». **نيكل جويل** قدَّم محاضرات على منصَّات أكاديميَّة وبحثيَّة مرموقة، منها: جامعة كامبردج، و«جوجل» ومؤسَّسة ليجو الدانمركية، وصنَّفته مجلة «فوربس» عام **2013** كأحد المؤثِّرين الشباب عالميّاً تحت سن **30** عاماً.

عن المؤلف

كتب مشابهة:

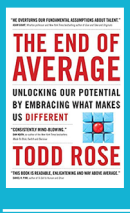

The End of Average
Unlocking Our Potential by Embracing What Makes Us Different
By: Todd Rose

Creative Schools
The Grassroots Revolution That's Transforming Education
By: Ken Robinson

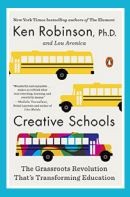

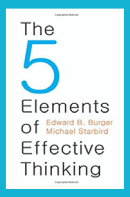

The 5 Elements of Effective Thinking
By: Edward B. Burger & Michael Starbird

تواصلوا معنا على:

MBRF_News
MBRF_News
mbrf.ae
www.mbrf.ae

ص.ب: 214444، دبي
الإمارات العربية المتحدة
الهاتف: 3444 423 04
نستقبل آراءكم على:
pr@ mbrf.ae

الاشتراك السنوي: 12 إصداراً (36 عدداً)

داخل دولة الإمارات:
- الأفراد: **200** درهم
- المؤسسات: **240** درهماً
- للاشتراك الإلكتروني: **100** درهم إماراتي

خارج دولة الإمارات:
- الأفراد: **150** دولاراً أمريكياً
- المؤسسات: **250** دولاراً أمريكياً
- للاشتراك الإلكتروني: **60** دولاراً أمريكياً

يرجى تحويل القيمة إلى حسابنا البنكي على العنوان التالي:
Account Title: Qindeel llC
Account number: 001520069891101
IBAN: AE310240001520069891101
SWIFT Code: DUIBAEADXXX

توزيع

qindeel_uae
qindeel_uae
qindeel.uae
qindeel.ae

Qindeel | قنديل
للطباعة والنشر والتوزيع
Printing, Publishing, and Distribution

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE FOUNDATION

الشريك المعرفي العالمي
GLOBAL KNOWLEDGE PARTNER
UNDP

برنامج دبي الدولي للكتابة
Dubai International Program for Writing

برنامج دبي الدولي للكتابة
دليلك إلى العالمية

دورات تدريبية في شتى حقول الكتابة الإبداعية لتطوير مهاراتك
على أيدي أمهر الخبراء والمدربين من كافة أرجاء الوطن العربي.

برنامج دبي الدولي للكتابة
Dubai International Program for Writing

- **تدريب مستمر**
- **رعاية ومتابعة**
- **حلم يتحقق**

حققت الدورات التدريبية حلم العشرات من الكتّاب الشباب
العرب ووضعتهم على بداية الطريق ليكونوا كتّاب الغد.

dipwriting dipwriting dipw@mbrf.ae